# الفصل الثالث عشر

- ثورة يناير، تخلع الشباب الرثة، وتستفيد من فاعليات التقنية الحديثة.
- شباب الثورة لا يهملون عناوين البلدان التى أنجبتهم، ويخرجون بالبلاد من نفق الصراع الدموى.

obeikan.com

obeikan.com

## فصل الخطاب

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) ﴾[آل عمران : ٢٦ ]

صدق الله العظيم

لأول مرة فى تاريخ مصر السياسى والثورات العالمية، يدير الشباب مهام ثورة أطاحت بنظام حسنى مبارك. تحت شعار: سلمية.. عدالة.. إجتماعية.. كرامة إنسانية.

لا يظنن أحد أن ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ وليدة اللحظة الراهنة،وإنما هى بنت الميراث الفكرى والاجتماعى لمن خاضوا غمار البحث عن دينامية الصورة المصرية، ومن رصدوا وحققوا حركة كفاح الشعب المصرى من خلال آثار على باشا مبارك، وجمال الدين الأفغانى، والشيخ محمد عبده، والجبرتى، وعبد الله النديم، والكواكبى، ورشيد رضا، وأحمد لطفى السيد، وطه حسين، وسلامه موسى، وغيرهم ممن مضوا على مدارج البحث و جعلوا شغلهم الشاغل رهناً بالتوصل إلى تطور الفكر المصرى من ١٨٦٣ إلى ١٩١٩، ثم من ثور ١٩١٩ إلى ثورة ١٩٥٢.

لا يستغربن أحد إذا اكتشف أن بعض أدوات النضال- فى بعض المراحل - قد تعيد إنتاج نفسها، ولكن بأبنية مستحقة - بجدارة - تخلع عن نفسها ثياب الرثاثة، وتستبدلها بما يتماشى مع متطلبات العصر.

ما حدث فى بداية الألفية الثالثة أن شباب ثورة ٢٥ يناير مكنوا للنضال بوسيلة تتماشى مع إيقاع العصر، فعلى موقع «فيس بوك» نقلوا للمشاهدين صور الاعتداءات التى تقع على المتظاهرين سلمياً فى مصر منذعام ٢٠٠٥ حتى

٢٠٠٨، ولكم أثارت هذه الصور لدى المشاهدين كوامن الغضب والسخط، ثم انتزعتهم سلبية النظر إلى إرهاصات الثورة لينطوا تحت ألوية التفاعل مع حركة النضال، ضد قوى النظام البائد.

ثم تقدمت خطوات الثوار إلى الأمام، حينما أخذ موقع «فيس بوك» على عاتقه تصميم شعارات ثورية لبرامجه، واعتبر من أشهر هذه الشعارات صورة عرضية لعلم مصر، يتوسط الجزء الأوسط منه الهلال والنجمة الموجودان بعلم تونس، ومكتوب على الجزء الأسود من العلم: «موعدنا يوم ٢٥ يناير»، ثم ظهرت على «فيس بوك» صورة آخرى لعلم مصر مكتوباً فى منتصفها: «٢٥ يناير.. حارجع حق بلدى».

فجَّر هذا الشعار شرارة الثورة المصرية، وانتشرت صيغة التظاهر السلمى، فى دعوة لكل من لديه كمبيوتر، يوم الثلاثاء الموافق ٢٥ يناير ٢٠١١، وسرعان ما انتشرت دعوة الثائرين، وتردد صداها فى مختلف أرجاء البلاد، وتجاوب معها ملايين الشعب، قبل أن تتحول إليها أنظار العالم فى تقدير لا نظير له.

تدفقت حركة الجماهير حتى جرفت أمواجها تلك الأرواح الميتة والعقول الوبائية المصابة بسرطان فى التفكير، والصدور التى لوثها حكم مبارك، حتى تعالت الأصوات على صفحة «فيس بوك» منادية بأن يحتشد الشعب فى يوم أطلق عليه اسم: «يوم الغضب».

بفضل فاعلية التقنية الحديثة، أتيح لشباب مصر أن يستعينوا ويستفيدوا من «فيس بوك» كأداة حديثة، يستطيع أى فرد، فى أية بقعة من بقاع العالم أن يبث من خلالها ما يعن له من رأى، ويتجاذب على صفحاتها أطراف الحديث، مع أشخاص يتفقون معه فى الرأى، أو قد لا يتفقون.

وإذا اعتبرنا أن شباب ثورة ٢٥ يناير كانوا شهوداً على تطور حركة النضال

المصرى، ونقلها من على صفحات «فيس بوك» إلى الشارع المصرى بجماهيره العريضة، فإن ذلك ليؤكد بأنهم لم يكونوا وحدهم، ولأنه لايوجد فى تاريخ نضال الشعوب شاهد وحيد، ولا فى حياة العالم شاهد وحيد على العصر!

هناك شهود، بل ومشاركون فى الثورة من ربات البيوت.. مسلمون.. مسيحيون.. من يصدق أن الرجال والنساء كانوا يتدفقون فى ميدان التحرير وهم يحملون صغارهم على الصدور ويرفعونهم على الأعناق؟!

ذهب الشعب كله إلى الثورة، وكان ذلك لا يمكن تحقيقه على أرض مصر إلا فى يقظة من الوعى بأن هذا المجتمع رغم محورية مبادئ الحضارة الإنسانية، ومبادئ الإسلام فى تكوينه الثقافى، إلا أنه مجتمع ثرى بعناصر متوسطية، وعناصر قبطية، وعناصر مصرية عربية، وعناصر إفريقية بحيث يمكن الجزم بأنه لا يوجد فى شعوب العالم جنس حباه الله بمثل هذا الثراء الذى يجعل مصر أمة متفردة، ولا مثيل لها من بين الأمم، وأن شبابها وشيوخها، كانوا يقابلون رصاص قوات الأمن المركزى وأعمال البلطجية، بصدور عارية، فى ملحمة شعبية، استمرت ١٨ يوماً!

●●●●●●

## قلوب المصريين فى الميدان

يعتبر الميدان «صرة المدينة».. الوسط الذى يمكن من خلالة أن يصوب المرء بوصلته فى اتجاه «مجمع التحرير» أو مجلس الشعب أو الشورى ووزارة الداخلية، لقضاء حوائجه، غير أن المكان، ما لبث بمن فيه، ومن هم على أرضه، أن تحولوا إلى شهداء، وأبطال ينثرون مصابيح الحب، فتتبدد فلول الظلام التى جثمت على صدور المصريين طوال عدة أجيال.

أية علاقة تلك التى تنمو بأشواق المحبة ذاتها، والذاكرة ذاتها، والمخاض ذاته؟..

ملامح مصرية صميمة، تنفض عن الوجوه غبار الأزمنة الغابرة.. شباب.. شيوخ.. فتيات.. نساء، لا يهملون عناوين البلدان والقرى التى أنجبتهم.. من سواهم يستطيع أن يجعل الإقامة فى «ميدان التحرير» محتملة، رغم ما كان يكتنفها من مخاطر، وشرور وقنابل، ورصاص مطاطى، ورصاص حى، ونزول مصفحات الجيش إلى الميدان؟

هنا يصعد الحب الخالص من قلوب المصريين، ليسطر حروفاً من النور فى زمن الوباء.

كل من ذهبوا هناك، كانوا يندفعون فى جلد وإصرار. ترفرف فوق رؤوسهم رايات: «أنت مصرى.. ارفع رأسك لفوق» و«سلمية.. سلمية».. تجسيداً لرغبة الملايين فى عدم الوصول بالثورة إلى نفق الصراع الدموى الذى حفره مبارك الكنز الإستراتيجى لإسرائيل.

بعيداً عن نزيف إنحدار الحياة اليومية، تجسدت حيوية الميدان على وجود مكتنز بالمعانى.. كان الجميع ينتفضون كل صباح من الفرح فيجدون أنفسهم

يتنفسون بعمق المشاعر النبيلة: الشعب يريد إسقاط النظام.

عبارة، دكت أركان نظام حكم مبارك الجائر، وحول هذا المطلب، كشف فتحى سرور أثناء التحقيق معه أن مبارك، وزكريا عزمى، وصفوت الشريف، وأحمد عز، عندما استمعوا إلى هذه العبارة، ضحكوا فى استخفاف، واعتبروا ما يجرى فى التحرير من الأعمال الصبيانية.

كانت حركة الجموع تستلهم من شموس الأصبحة، لغة التفاؤل بصلاحية الإنسان لبلوغ الكمال، والنفرة من الاستعلاء.. الرشوة.. الاحكتار.. الابتزاز.. الإقصاء.. الشحناء.

عندما اتجهت الجماهير إلى ميدان التحرير لم يكن يحدوهم الثقة بالعلم، ولا بالعقل القديمين، فبات عليهم من السهولة أن يلتفوا حول الهدف الواحد، والأمل المشترك، وتطويع النوازع البشرية فيهم، حتى يخرجوا من الطبيعة الحيوانية، إلى الطبيعة الإنسانية.

صار بوسعهم التخلص من المكونات العتيقة، المكبلة للعقول، ولمشاعر الفطرة السمحاء، فى زحف جماهيرى واعٍ، يسعى للخروج من آلية نظام خانع للإمبريالية، والصهيونية العالمية.

سعى الشباب للتقدم بصورة سلمية، أذهلت العالم الذى عششت فى رأسه فكرة عن شعب مصر، مفادها أن من المتعذر تبربر أهميته واستحقاقه للعيش فى مكانة رفيعة بين شعوب العالم المتحضر.

لا يوجود هناك ما يحول دون تقدم ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، بل من المستطاع – الآن – إدراج الثورة التى أعدت الرأى العام المصرى – بمبادئ سلمية – فى صفوف الثورات العالمية، مع إختلافها عن الثورة الفرنسية، والثورة البلشيفية، حيث ذهبت كل منها إلى المقاصل وسفك دماء الملايين.

هذا، ، فى الوقت الذى بات لدى الرأى العالمى قناعة بأن الثورة الوليدة، لا تنافس بحق، ولا مثيل لهابين ثورات العالم، إذ على الرغم من التفاوت الذهنى والثقافى والأخلاقى، بين إنسان وآخر، وهو إختلاف يشكل حلقات من الرؤى، نتيجة لتباين مناهج التعليم، والظروف الاجتماعية والمعيشية، فإن عبقرية « ميدان التحرير»، محت تلك النظرة الإستعلائية، مما يسر على الثوار قابلية الانسجام، والتعبير عن نبض الوطن.

حينما كانوا يخطون تاريخاً، ناصع القلب، لا يعتمد على أبجدية بائدة، أخذوا من لغة اليقين، فى بساطتها، ما يغتذى النفوس، بإيمان توحدى، يدفع بالجميع للصعود إلى طبيعة حديدة، هى جزء من فطرتهم، ولا صلة لها بعلوم اللغة المهترئة، وأبجدية المنطق المؤسس على قوانين الحكومة الفاسدة.

فى مناخ الثورة، تعانقت الأرواح.. تفجرت الطاقات صوب إيجاد فرصة للتقدم، تشايعها الرغبة الجامحة حتى تتجاوز التصورات القديمة، وكل ما هو نظرى، لا يتفق مع الفعل المضمخ بعرق إلتفاف الروح فى شمولية، على درب تقدم العقل المجتمعى، والإنسانى.

كان ميدان التحرير تعصف به الأمطار، والرياح، فتشد المناكب إلى المناكب، وتلتئم الفجوات، ويسد ثغراتهاالجماعات الوافدة، من شتى المحافظات، لدعم ذلك الكيان الجديد، ومن شحذت هممهم، وشكلتهم الرياح ، والرعد، والبرق، والعواصف، والأمطار، فى ثورة تقضى على المآسى التى ألقى بها نظام مبارك، على كاهل الشعب المصرى.

على أرض ميدان التحرير، اتسعت حلقات الثوار والمبدعين الجدد، صارت تلك البقعة، هى الأرض المختصرة، لمصر الجديدة، مصر الريادة والعزة والكرامة، ولكونها أصبحت أرض البزوغ والأمل، فإنها تشترك مع مختلف الميادين المصرية،

حتى تتبلور فى وحدة دينامية، تتجاوز الحلقات الضيقة، والمصالح الفئوية قصيرة النظر.

سؤال أخذ بتلابيب المحافظين، ومن كان لا يزال فى قلوبهم ريب: كيف يصنع مجد مصر العاطلون، والمهمشون، والمضطهدون، والمسلمون الذين يقيمون شعائر الصلوات فى أوقاتها، والنصارى الذين يفتحون أذرعهم على اتساعها فيبان الفداء، ويسوع المسيح وشماً على الصدور؟

كان من بين من جاءوا إلى الميدان أناساً فى قلوبهم مرض، وأورام، وإحن، وتشوهات نفسية، وروحية، صنعتها أجهزة نظام مبارك القمعية.. لكن من كانوا لا يصدقون، ولا يؤمنون بعمليات التحولات العظيمة لشعب مصر، رأوا بعيونهم كيف صهرت بوتقة الثورة تلك الجموع،وغسلتهم أمطار الميدان من أدران اللاإنتماء، واللامعنى.

اكتظ مبدان التحرير بمختلف فئات الشعب المصرى، طلباً للحرية، العدالة، الكرامة، المساواة، وكان اندفاع نظام مبارك إلى الهاوية، هو بداية عالم يرهص بالبشارة، وبالنبوءة الوطنية على قاعدة الهلال والصليب.

بعيداً عن الحديث العبودى، والقنانة الإيديولوچية، وما خلفه حكم مبارك وبطانته لشعب مصر من أوجاع القلب.. وبعيداً عن التشاؤم، نقر بأن الثورة أسقطت أركان النظام، لكنها على أرض الواقع، تحاول أن تحقق النجاح فى بناء دولة عظمى، تليق بحضارة مصر، وأمجادها.

لكن دعونا نتأمل الواقع بعين موضوعية.. هناك، بين الشرعية العلنية التى تستنهض قوى الثورة بعزيمة البناء، والتقدم، تأتى فلول النظام القديم على رأس قوى الثورة المضادة، بدأت شرذمة منهم تعمل فى العلن، مستفيدة من الوضع الديموقراطى الجديد، وقوة تتحرك فى السر لتمويل بعض العمليات التى من

شأنها أن تزعزع الاستقرار الاجتماعى، ولا تمكن المسئولين من انتشال البلاد من وهدة الفقر، والجهل، وبؤر الفساد الأخلاقى والسياسى ويتحللون – وهم لا يشعرون – من فرط الشراهة والأثرة، والاحتكار.

يتجاوز الشعب بخطواته الوثابة، كل ما من شأنه أن يعيق تقدمه، دون أن يرفع عينيه عن أعمال الشهداء، ومن ضحوا بأرواحهم فى سبيل عزة مصر ورفع ألويتها، والتصدى لأعمال من كانوا لا يرون أن لمصر تاريخا ومستقبلاً.

هناك من لا يبغى للثورة أن تصل إلى بر الأمان، ولدى هؤلاء الخبرة فى استبدال الأقنعة، والتلبيس والتمويه على الشعب بمبادرات تأخذ طابع «المشاركة»، وما وراء القصد والأقنعة، تكمن خطورة «الشكليين» ومن يجيدون طرح المشاكل فى سياقات، وتفاصيل، تمكنهم من أخذ طابع التوافق مع مستجدات الأمور، وبحيث يتسنى لأصحاب المعايير القديمة، أن يخلعوا عباءة الماضى ليحتلوا مربعا فى قلب برواز الثورة، ولديهم الأموال المنهوبة، والإمكانات المادية القادرة على احتكار أى شئ. إذ لا يزال فى ميسوهم شراء ذمة مواطن مصرى، أفسدته أخلاقيات النظام البائد.

●●●●●●

## معاول للهدم.. معاول للبناء

تقع مسؤولية البناء على الوزير قبل الخفير، وتقع على كاهل الكاتب، والمبدع، مسئوليات جسام، لا يُستثنى منها أحد، ممن لهم مصلحة فى أن يكون مستقبل مصر مشرقاً.

إذ لا يعقل أن تدور عجلة التقدم، وتروس الإنتاج الفكرى، والصناعى، والزراعى معطلة، إذن لا بد من تأهيل قيادات جديدة، بالوعى الثورى، حتى تكون مسيطرة، وقادرة على تصفية مخلفات الفكر البيروقراطى، ومن اندفعوا بقوة أورام، وأمراض نظام حكم مبارك، ليعتلوا مواقع قيادة الأجهزة الإدارية، والتنفيذية والتشريعية.

لن يكتب لشئ من هذا النجاح، إلا إذا كانت هناك خطط عملية ودراسات جادة، تعنى بآمال، وطموحات شعبنا فى الازدهار والتقدم.

أذكر أننا فى الثمانيات، والتسعينات، ومع بداية الألفية الثالثة، كنا نتساءل: أين يضع المثقف كتاباته، فى مجتمع لا تحكمه خطط العمل التنموية؟

ما الذى يصنعه المبدعون، والمفكرون، فى دولة كانت تمضى على درب العشوائيات، ولا يوجد فيها مشروع قومى، يستنهض صفوة العقول، ويفجر طاقات الشباب؟

لكم لاقت بعض الأقلام الشريفة من سوء التقدير، والاضطهاد لمواقفها الصلبة ضد سيطرة رأس المال على الحكم، وضد سياسة الهيمنة الأجنبية، وضد فساد السلطة الحاكمة، وخاصة حين رضخت – بعد إتفاقية كامب ديفيد – لمخططات الصهيونية الرامية إلى تصفية القضية الفلسطينية، وإحالتها إلى مشكلة

«لاجئين» وهى تتنمر بالمصريين، وتحاول افتراسنا وعيناها لا تغمض – أبداً – عن سيناء، بثراء مناجمها،وخيرات أراضيها.

فى تلك الأجواء الفاسدة التى عانت منها مصر والمصريين، كان يحلو لمحللى وكتاب النظام الغاشم، أن يستعملوا المثل الإنجليزى، وتصديره للشعب المصرى: «إذ لم تستطع أن تحاربهم، انضم إليهم».

ربما لا يدرك البعض خطورة هذا المثل إذ عمل الإعلام على الربح من وراء ترويجه، بين شعب كان مغلول اليدين، والقدمين، واللسان حتى اكتسب الصفة المثلى لدعم التلاشى، وتحطيم أسس اللغة العربية، والاقتصاد والانتماء.

وحين يتطرق بنا الحديث عن الحريات، لا بد من الأخذ فى الاعتبار أهمية النمو الاقتصادى، والازدهار الثقافى، إذ من غير المعقول أن يكون لشعب مصر مستقبل، فى ظل مناخ لا يزال يحتل ركن فيه، مجموعة نافقت رموز العهد القديم، وهى تسعى الآن للعب هذا الدور مع رجال العهد الجديد.

إن التنمية الفكرية، لا تقل أهمية عن التنمية الإقتصادية والعلمية، ولكى تظل أعلام الثورة ترفرف فى سمائنا، على الثورة أن تعيد تأسيس وتأصيل مستقبل الثقافة فى مصر، وفق خطط ثورية، وعاجلة، كأن تكون مراكز النشر والتوزيع ، والمكتبات بعيدة عن إدارة اللواءات، خاصة منها ما كانت تحمل اسم مبارك ، واسم سوزان مبارك.

يجرنا الحديث عن الفكر والمكتبات والتعليم إلى عام ١٩٣٨، حينما انتهى الدكتور طه حسين من وضع كتابه: «مستقبل الثقافة فى مصر»، ولعلنا نكون قد لاحظنا أن الدكتور طه حسين ضمن الكتاب ٤٩ فصلاً عن التعليم ولم تحظ الثقافة إلا بـ ١٢ فصلاً فقط، وكان على حق، إذ رأى أن التعليم وسيلة للثقافة، وذلك يستدعى الحديث، عن اللغة، والأقباط فى مصر:

« وجملة القول أن هناك أمرين لا بد أن يستقروا فى نفوس المصريين جميعاً: أحدهما أن الأقباط مصريون فيجب أن يثقفوا فى أمر دينهم ودنياهم كما يتثقف المصريون، والثانى أن اللغة العربية هى اللغة الوطنية لمصر فيجب أن يكون حظ الأقباط من إجادتها وإتقان العلم بها والقدرة على استعمالها كحظ غيرها من المصريين » لماذا اللغة فى سياق الحديث عن الأقتصاد والثورة، والتنمية الثقافية؟

إنها الجذور التى تمكننا من التقدم والإرتقاء.. هى كنز الأسرار ومفتاح العلوم والنهضة العلمية.. الاعتزاز باللغة العربية، لا بد أن يكون مقدساً، لأنها قبل أن تكون وطناً وهوية، كانت هى اللغة التى نزل بها القرآن الكريم.. إنها ليس مجرد حروف تقرأ وتكتب وتسمع.. إنها زيت مصباحنا الذى أضاء بها العرب والمسلمون كل جنبات العالم.. إنها العقل الذى يثرى وجدان الأمة وتغذى صدورنا بالأحلام.

لقد مكنت لغة الأحلام « أفلاطون » من إقامة دولة مثالية، وأرسى « أرسطو » القواعد لعلوم متعددة، ونشر كل منهما فلسفة جديدة فى الحياة، فما الذى داهم اللغة العربية بليل وأرغمها على الانسحاب من قواعد دروس النحو والصرف؟

أصبحت واجهات محلاتنا ويافتاتها تثير الغثيان من الحروف التى كتبت بها – بعد صدور قوانين الإنفتاح – بلغات أجنبية.

هل يعنى هذا أن لغتنا أصيبت بالهرم بحيث صارت عاجزة على أن تصنع لنا عنواناً؟!

تصورى، أن الأمر فى شأن اللغة والتربية والتعليم، يستدعى وضع خريطة جديدة لتربية الأطفال.. لنبدأ بالطفل لأنه كنز المستقبل، والمنوط به تولى إدارة شئون الحياة وتصريفها.

**لماذا نعول على الأطفال؟**

ثبت من دراسات المخ أن عقول الأطفال تضمحل عضوياً بعد سن العاشرة مع تلاشى طاقة الخيال والتحليق.. أسند العلماء ذلك إلى عوامل البيئة التى تربى فيهم الشعور بالقهر، فى محيط ملوث بأعمال الكبار.

فى هذه البيئة المصابة بالأوبئة، لا ينتظر من الصغار أن يكونوا أذكياء، بعدما يميت فيهم الواقع الخيال الطفولى، فتجف منابع الإبداع الفطرى.

وتؤكد هذه الدراسات السيكلوجية للمخ، إن الوصلات العصبية بين خلايا المخ تتناقص بعد سن العاشرة إلى النصف تقريباً (داخل كل خلية حوالى ١٥٠٠٠ وصلة عصبية).

وبات من الأهمية بمكان أن نعيد تخطيط مناهج التعليم ودعم اللغة العربية/ الثقافة/ الهوية/ حتى يتوقف نزيف الإنحدار، فى بلاد، ظل يلعب النُظام التربوى والتعليمى فيها، دور حفار القبور لجثث الموتى.. الأحياء!

●●●●●●

## مراجعات لوقائع من أيام الثورة

رصد تقرير تقصى الحقائق المشتركة بين مجلس حقوق الإنسان والمنظمة العربية لحقوق الإنسان معدلات العنف من أجهزة الشرطة وأمن الدولة والأمن المركزى فى اليوم الثالث لثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، تصعيداً عنيفاً منها، للقضاء على التظاهرات والاحتجاجات فى القاهرة والسويس والإسكندرية والعريش والمنصورة.

استخدمت فيها الأجهزة الأمنية – ضد المواطنين – الرصاص الحى فى «جمعة الغضب» يوم ٢٨ يناير، حينما هتف المتظاهرون بإسقاط النظام ورحيل حسنى مبارك، استعملت ضدهم العربات المدرعة، وطوحت بأجسادهم مقذوفات خراطيم المياه، وأطاح بهم الرصاص الحى، واستعملت ضدهم الهرواوات الكهربائية والمغناطيسية إلى جانب عدد من العربات المصفحة التى تعمدت دهس وقتل المتظاهرين.

وفى تمام الرابعة والنصف عصراً، صدر قرار الحاكم العسكرى بنزول الجيش وقوات الحرس الجمهورى لفرض حظر التجول فى ٣ محافظات القاهرة الكبرى.. الإسكندرية.. السويس، وفى اليوم الخامس للثورة أقيلت حكومة نظيف، وتعطلت شبكات المحمول والانترنت.

ويشير التقرير إلى أن ما حدث لم يزد المتظاهرين إلا التشبث بمطالبهم، والصمود، والاستمساك بأن ثورتهم سلمية، ولم يتأثر أحد منهم بالخوف، والاعتقالات، ووقوع المزيد من الضحايا.

وقد حدث تطور مفاجئ أربك النظام فى اليوم السادس للثورة بإنضمام فئات من القضاة ورجال الأزهر للثورة.

بالنسبة لانعكاس الثورة على العالم، فقد أصدرت الإدارة الأمريكية بيانين يوم ٢٦ يناير، دعت فيهما الحكومة المصرية للإصلاحات الإقتصادية والسياسية والاجتماعية، وأكدت الولايات المتحدة بأنها ملتزمة بالعمل مع مصر لتحقيق هذه الأهداف.

ومن فرط الهول الذى أصاب نيتانياهو بالهلع، واشترك معه فيه حفنه من حكام دول نفطية، سعوا إلى الولايات المتحدة، طالبين منها أن تدعم مبارك وحكومته، وعرضت عدة مليارات من الدولارات لدعم موقفه المناهض لطموحات الشعب المصرى.

وتلقت الإدارة الأمريكية توصيات وتحذيرات من نيتانياهو بعدم التخلى عن مبارك، لأنه الحليف القوى والداعم لإسرائيل ومخططات الإستيطان، وضمنت إسرائيل مخاوفها من صعود قوى آخرى فى مصر قد تعيد النظر فى إتفاقية كامب ديفيد، وجميع القرارت الملحقة بإتفاقية الكامب.

وفى يوم «جمعة الشهداء» ٢٨ يناير ٢٠١١، توحدت صفوف الثوار فى مواجهة الأمن المركزى وأكدت الحكومة المصرية بالغ التقدير لردود الفعل الخارجية، خاصة منها الموقف الأمريكى الذى «أكد» استقرار الحكومة المصرية.

وما فتئ كلاب السلطة ينبحون، واجتهدوا فى محاولة الدفاع عن فساد النظام السابق، بشتى الأساليب، لدرجة أن واحدا من هؤلاء راح ينسب ثورة شباب مصر، إلى خصوبة الحياة السياسية فى مصر وبالذات رؤية مبارك التى سرعان ما تحولت:

«إلى أهداف واستراتيجية واضحة لفتح أبواب الإصلاح السياسى، وإزالة كل القيود والعوائق أمام حرية الرأى والتعبير، ويكفى أن كل الشباب الذين شاركوا فى المظاهرات الأخيرة من فئات عمرية بين ١٥ – ٢٥ عامً، وجميعهم ولدوا

وتربوا فى مناخ الحرية الذى سعى الرئيس مبارك منذ اليوم الأول لترسيخه بعد سنوات طويلة من الكبت والحرمان».(١)

أما الداعمون للفساد من خارج مصر فإن كثرتهم تؤكد أن هناك مؤامرة كبرى ضد مصر وشعبها، إذ تشكلت فى واشنطن عدة شركات استثمارية، اهتمت بتكثيف جهودها دعماً لنظام مبارك، وأكدت أنها لن تتخلى عن تعهداتها فى خدمة مصالحه.

وأعرب صاحب هذه الشركات «س – إل رم» عن «قلقه العميق من حدوث تغييرات فى مصر، فلن يكون ذلك جيداً للولايات المتحدة الأمريكية ولا لإسرائيل»، ثم يبدى التخوف من بدائل مبارك مثل نظام حكم إسلامى.

وعلى نفس المنوال يحذر الرئيس السابق المصريين على صدر صحيفة «كريستيان ساينس مونيتور» الأمريكية الخميس ٣ فبراير ٢٠١١ من تفاقم الأوضاع فى مصر «إذ لم يظل فى السلطة حتى سبتمبر المقبل للإشراف على آليات إنتقال السلطة»

ومع زيادة المد الثورى المطالب بإسقاط النظام، كرست شركات: س، إل، إم جهودها فى محاولة إثناء الكونجرس والإدارة الأمريكية عن فتح ملفات الديموقراطية وحقوق الإنسان، وحقوق الأقليات فى مصر، والتواصل مع وسائل الإعلام وإمدادها بمقالات كتلك التى نشرها مبارك فى صحيفة «كريستيان ساينس مونيتور»، و رئيس مجلس إدارة مؤسسة الأهرام عبد المنعم سعيد فى «وول ستريت جورنال» ويواصل الإعلام المصرى نشاطه فى إعلاء دور الشرطة فنشر على صفحات جريدة الأهرام يوم ٢٦ يناير ٢٠١١، «أن الشرطة المصرية ظلت فى قلب العمل الوطنى فى أوقات الحرب والسلام»، وعلى صفحات ذات

(١) ممتاز القط (سرقوا فرحتنا بشبابنا) !! مقال، جريدة أخبار اليوم ٢٩ يناير ٢٠١١، ص الثانية والعشرون.

الجريدة، يزعم مكرم محمد أحمد: (إن عمليات التظاهر السياسى فى الشارع المصرى شئ يدعو للاستفزاز وأن مجموعات من الشباب المصرى اختارت طريق المعارضة، وهذا من حقها، لكن الرؤى اختلطت علينا، ولم نعد نستطيع التميز بين ما يجوز الغضب من أجله وبين عملية استفزاز مقصودة لذاتها، لعل تطورات الأحداث التى تدفع الشرطة إلى أن ترد باستخدام السلاح فى المليان ويسقط عشرات القتلى».

لم يسقط عشرات القتلى، بل وصل عدد الشهداء إلى ٢٠٠، خلال ما عرف بمعركة الجمل، أو بيوم الأربعاء الأسود (فى الثامن والتاسع للثورة يومى ٢ فبراير و٣ فبراير)، إذ دبر بلطجية النظام البائد مظاهرات تأييد لمبارك بميدان مصطفى محمود، وحاولوا الإغارة على الشباب بميدان التحرير، وفى فجر الخميس تعرض شباب التحرير لهجوم بالرصاص الحى من القناصة الذين تمركزوا على الميانى المطلة على الميدان مما أدى إلى استشهاد ما يزيد عن ٢٠٠ مواطن مصرى، وقد منع البلطجية التابعين للحزب الوطنى دخول سيارات الإسعاف، والمساعدات الطبية والغذائية للمتظاهرين طوال تلك الفترة.

ونجم عن رسوخ أقدام الثوار على أرض ميدان التحرير، خلافات حادة بين الكيان الصهيونى وبين الولايات المتحدة الأمريكية، بعد مرور عشرة أيام فى مراقبة الثورة المصرية، ومتابعة التفاف الجماهير المصرية والعربية حولها.

رأت أمريكا أن تحسم موقفها بتأييد موقف الثوار المطالبين برحيل حسنى مبارك، بينما كانت إسرائيل لا تزال يتملكها الخوف من رحيل مبارك، وتصر على عدم المساس به، ولا أن يحدث أى نوع من التغيير فى هيكل نظام حكمه.

غير أن أمريكا فضلت أن تزن الأمور على ضوء المستجدات الحتمية بعين المرابى الذى إذا لم يستطع الاستحواذ على الكعكة كلها فلا أقل من أن يكون له

نصيب الذئب منها.

لا مناع لديها – لأجل ذلك – أن تتخلى عن عنادها وصلفها، وأن تسقط عن حسنى مبارك حق رعايتها له، كما تخلت فى السابق عن شاه إيران حليفها القوى، فأرسلت لمصر وزيرة الخارجية «هيلارى كلينتون» التى سعت لمقابلة الثوار فى ميدان التحرير. لكن الثوار رفضوا الحديث معها.

هنا. سقطت الأغاليط حول المصريين، وأنهم شعب لا يثور، وأصبح من كانوا يشككون فى نضجهم الفكرى والسياسيى، تعصف بهم الأيام حتى جاء اليوم العاشر الذى أطلق عليه: «يوم الرحيل» فى ٤ فبراير ارتفعت موجات المد الثورى فى شتى أنحاء مصر وباءت محاولات الحكومة بالفشل فى منع المتظاهرين من التقدم.

تخلل ذلك اشتباكات عنيفة فى محافظات القليوبية والغربية والبحيرة والسويس والإسماعيلية وبورسعيد ودمياط والفيوم والمنيا وأسيوط والأقصر وبالقرب من ميدان التحرير، نجح الثوار فى ضبط ٧ أشخاص من المندسين فى المظاهرات بمحافظة الدقهلية، بينهم إثنان من رجال مباحث أمن الدولة.

وفى أسبوع الصمود، خرج ملايين المصريين فى أنحاء مصر مصرين على اعتصام طويل حتى يرحل مبارك، ويسقط النظام، وفى مساء اليوم الخامس عشر للثورة، أعلن المجلس الأعلى للقوات المسلحة فى بيانه الأول أنه فى حالة انعقاد دائم فتدفقت الجماهير على مقر رئاسة الجمهورية بمصر الجديدة، وفى مساء نفس اليوم ١١ فبراير، تم إلقاء بيان مقتضب من نائب رئيس الجمهورية عمر سليمان عن تخلى مبارك عن رئاسة الجمهورية، وتكليف المجلس الأعلى للقوات المسلحة بإدارة شئوون البلاد.

أصبحت حقائق الشر المزمن التى أوغرت صدور المصريين بالجراح والندوب،

لا تفلح فى زعزعة التوازن الفعلى الذى كان يتسم به عقل الثوار، وإن كان يبقى للشر ظلال وعفاريت، فإن سقوط النظام – الذى كان حلماً – ما لبثت بهجته تخفت فى النفوس، عندما فتح الشعب عيونه على واقع خرب.. أموال مهربة.. ومخلفات عهد طويل من الفساد، وأبنية إقتصادية، وعمالية، وتعليمية، وصحية، وثقافية، أقيمت كلها على تخريب البنية الاجتماعية، وتجريف عقول الشباب، وإقصاء المفكرين.

والعجيب فى أمر هذه الطغمة الفاسدة أن سفينتهم حين أخذت فى الابتعاد عن الشاطئ، نراهم يقفزون مثل الجرذان منها، وبكل قحة ولزوجة، يردد الرجل الذى عمل على خراب مصر: إنه لن يغادر مصر التى كانت فيها حياته، ويتمنى أن يدفن فى ترابها، ومن ورائه كان عمر سليمان ينشر ويذيع على العالم «عدم جاهزية الشعب المصرى للتعامل مع الديموقراطية»، بما يعنى بصريح العبارة أن أبناء هذا الشعب ليسوا أسوياء، وغير أكفاء لنيل شرف الاستقلال وممارسة حق التعبير، والمشاركة فى اتخاذ القرار، فما كان من شباب الشعب المصرى العظيم إلا أن رفعوا الرايات مؤكدين: ستكون فى كل محافظة ميدان تحرير جديد، وقالوا أنهم سيشكلون حكومة إنقاذ داخل ميدان التحرير – ما لم يستجب النظام لمطالبهم– وهو ما علق عليه المستشار زكريا عبد العزيز رئيس نادى القضاة الأسبق بأنه: «أمر وارد جداً».. مضيفا: «هناك إمكانية لإعلان دستور جديد من فقهاء القانون والدستور من داخل الميدان».

وفى يوم ٨ إبريل طالب الثوار قيادة المجلس العسكرى بالإسراع فى محاكمة مبارك وأسرته، وتنحية المحافظين ورؤساء مجالس المدن، وتشكيل مجلس مدنى مؤقت يدير شئوون البلاد.

ومن كتابات عميان البصر والبصيرة يربط أحدهم بمنطق عقيم بين ما جرى فى تونس، وما جرى على الأرض المصرية، بقوله:

« تطابق أحداث سيناريوهات إسقاط الرئيس التونسى مع أحداث سيناريو « محاولات » إسقاط النظام فى مصر دليل دامغ على أن الذى « خطط » لهذا هو الذى نفسه خطط « لذاك » . . وصمود النظام المصرى فى مواجهة هذا المخطط بعد إتمام آخر خطواته ( وأقصد الهروب ) أربك حساب المخططين ورهاناتهم ( أمام أتباعهم ) قبل غيرهم، فاختل المنطق، واضطر المخططون إلى كشف الأوجه الحقيقية واتباع تصعيد دولى غير منطقى وغير مبرر » .(٢)

وعلى نفس المنوال الرخيص، وشباب الثورة يدقون أبواب النصر، ينحدر كاتب آخر من فصيلة « الأهرام »، ليشوه صورة ميدان التحرير، وينحى باللائمة على ثوار ٢٥ يناير، قائلاً :

« هى حشود من مواطنين مروعين لم يروا وراء ما يعيشونه طيلة الأيام الماضية من معاناة سبباً؛ وتأكيد على أن مصر ليست هى شباب الفيس بوك فى ميدان التحرير فى مواجهة النظام، وإنما هى مصر ملايين الصامتين، العاقلين. الناضجين المحترمين، الساهرين بطول الليل خوفاً، المتوترين بطول الليل والنهار، الذين ازدادت حياتهم تعقيداً بسبب المعتصمين فشعروا بأن ميدان التحرير قد فقد معناه النبيل وباخ مذاقه » .(٣)

وبحرفية مبتذلة، يحاول نفس الكاتب – كما حاول غيره من سدنة نظام مبارك – أن يطفو فوق تيار الثورة، خوفاً من الغرق، عندما أدرك أن ( الثورة لم تعد ملايين الصامتين، العاقلين )، فسارع بتغيير جلده، وخلع على وجهه قناعاً يتناسب مع الأوضاع الجديدة، وفى نفاق ذميم، حاول أن ينقل ولاءه من مبارك إلى الولاء للثورة، قائلاً :

« الشباب صانع ثورة يناير ٢٠١١، يجب أن يثق فى نفسه وفى مستقبله

(٢) أشرف عبد المنعم ( اللانظام البديل ) مقال، جريدة الأهرام ٤ فبراير ٢٠١١ ص٢.
(٣) أسامه سرايا «أيام التغيير في مصر» جريدة الأهرام ٤ فبراير ٢٠١١ ص ٥.

وأن يؤمن أنه لا يمكن إجهاض الثورة وأن كل من يخرج عليها فسوف تقوم الحكومة ومؤسساتها بمحاكمته».(٤)

تلك الأصوات التى كانت تشايع الاستبداد بفرضيات الثبات والأمر الواقع، لم يعف عليها الزمان، ولكنها ستتشبث بتطويق الثورة من مختلف الجهات، فى محاولة منها، للحفاظ - بهوس - على كل ما سرقوه من أموال الشعب من أجل التنعم بسعادة حياتهم، لكنهم لا يدركون بعدُ أن من يحرص على الفوز بحياة من ذلك النوع، فإنه سوف يفقدها لا محالة.

ومن عجب أن فى الوقت الذى يزعمون فيه أنهم يبنون مصر بأموال رجال الأعمال والمستثمرين للعمل فى بناء المنتجعات والقرى السياحية، كانوا يقومون بتهريب الأموال من مصر.

فخلال عام ٢٠١٠ قدرت «منظمة النزاهة المالية» حجم الأموال التى تم تهريبها من مصر بحوالى ٣، ٦ مليار دولار، ويؤكد الدكتور نبيل حشاد رئيس المركز العربى للدراسات المالية:

«وأنه تم تهريب ٧,٢ مليار دولار من مصر وأوضح خلال ندوة نظمتها الجمعية العربية للبحوث الاقتصادية، إن مصر تأتى فى المرتبة الثالثة على مستوى دول الشرق الأوسط من حيث حجم الأموال المهربة للخارج. وفقاً لبيانات منظمة النزاهة المالية الدولية، واقترح الاعتماد على المكاتب الدولية المتخصصة فى قضايا استعادة الأموال المهربة للخارج نظير حصولها على نسبة منها».(٥)

وعلى درب السلب، والنهب، والنفاق، ظهرت عقب قيام الثورة مجموعة من شرائح المجتمع المختلفة، كانت تتسم بأخلاقيات رجال المافيا العالمية.. فى

(٤) أسامه سرايا: الأهرام ٤ فبراير ٢٠١١.

(٥) جريدة المصرى اليوم (منظمة النزاهة الدولية) حجم الأموال المهربة من مصر الثلاثاء ٢٢/ ٢/ ٢٠١١ص ١.

قلوبهم غل لمن لا يدخر جهداً من أجل بناء وعزة الوطن.. ومن المعروف عقب الثورات العالمية أن تظهر أخلاق المافيا مثل الطفح الجلدى على جسد المجتمع، انتقاماً من الثورة لاستعادة النظام القديم.

من هذه الفيروسات تنشط الدعوة بتقديم الخدمات ليحققوا مزيداً من المكاسب على حساب الثورة، ومنهم – على سبيل المثال – من دهن الوجه واللسان بصبغة ثورية.

ففى يوم ١١ فبراير ٢٠١١ الساعة ٧ مساءً، وعقب تنحى حسنى مبارك عن الحكم، كانت الإذاعة المصرية لا تزال تتحدث عن أبطال ميدان التحرير بلغة هابطة، ثم تطيل الحديث عن القلة المندسة ذات الأجندة المشبوهة، ولا تنسى الإذاعة أن تدعو إلى الاستقرار والتسليم الآمن للسلطة.

ثم فى صباح اليوم التالى ١٢ فبراير فاجأت الإذاعة ملايين المستمعين بتحول جذرى فى توجهاتها، فسمعها العالم وهى تقول:

«هكذا سيداتى سادتى.. حقق شباب مصر الرائع حلم الملايين عندما خرج يوم الخامس والعشرين سائراً إلى ميدان التحرير، يحمل أغصان الزيتون فى أياديه.. ينادى بالحرية والسلام وإسقاط النظام الفاسد».

●●●●●●

obeikan.com